

السيدة وكيل النساء الفيض آبادي

زوجة شيخ الإسلام حسين أحمد مدني

(١٣٣٢_١٤٣٣ هـ)

هى السيدة الفاضلة الصالحة السيدة وكيل النساء بنت بشير أحمد الفيض آبادي الهندية، المعروفةً لدى الكل بـ«آپاجي» أي «السيدة الأخت الكبيرة».

مولدها وآسرتها: ولدت سنة ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٤م.

كانت السيدة وكيل النساء زوج الشيخ الصالح المربي الهمام ، العالم الهندي الكبير الإمام، والمناضل الشهير ضد الاستعمار الإنجليزي، شيخ شيوخنا الشريف حسين أحمد المدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢٩٥-١٣٧٧هـ) المعروف في شبه القارة الهندية بـ«شيخ الإسلام».

عقد قرانه عليها وهي في ٢٣ من عمرها عام (١٣٥٥هـ) الموافق (١٩٣٦م)، وظلت معه – عبر ٢٢ عاماً ، زوجةً وفيّةً برّةً صالحةً كبيرةَ النفس تُشَارِكُه عبر حياته الأحلامَ والآلام، وحالات الشدة والرخاء، تؤدي دورَ رفيقة مواسية حقًّا، وربّةَ بيت لائقة، ومُرَبِّيةً للاولاد خبيرةً، ومدبرةً للأسرة عن حنكة مثالية، ومُخَرِّجَةً للأبناء والبنات على الدين والأخلاق والصفات الإسلامية المثالية التي كانت تتحلى بها هي وزوجُها ، حتى فارَقَها في مدينة ديوبند يوم ١٢/ جمادى الأولى ١٣٧٧هـ = ٥/ ديسمبر ١٩٥٧م، فظلت – طوال ٥٥ سنة متتاليات بعد وفاته رحمه الله – على عُهْدَتِها كزوجة مثاليّة، تتعهّد أعضاءَ الأسرة، وتَبَرُّ بجميع أقاربه ومحبيه والمُعْجَبِين به، الوافدين على بيته بعد موته زائرين وضيوفاً، فما

بَرِجت صِلةَ وصلٍ بهم، تُعَزِّز العَلاَقَـةَ، وتُقَـوِّي الرِّبـاطَ، وتُجَـدِّد الحـبَّ، وتُـشْعِرَ الجميعَ بملأ الفراغ الذي كانوا يشعرون به بعد وفاته – رحمه الله – فظلّوا يشعرون أن البيتَ لازال بيته – رحمه الله – وأن رصيدَ القري والضيافة لايزال ثرًّا لم تنقطع مادَّتُه بفضل الله – تعالى – وأن أسرة السادات والأشراف هذه،

النَّدىٰ في أَكُفِّها أَعَزُّ امِحّاءً من خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ؛

فظلّت ذكرىً حيّةً له – رحمه الله – يرون فيها خَلَفاً صـادقاً لـه، يـنهج منهجَـه في الكرم والجود، والذكر والعبـادة، وصـلة الأرحـام، وجميـعِ ذوي القربـى، والـبرّ بذوي الحاجـة والخـصاصة، وإكـرام الـضيوف وذوي العلاقـة مـع هـذه الأسرة الكريمة، حتى توفّاها الله، فظنّ الجميعُ أن ذكراه الأخيرة قد زالت؛ ومن ثمّ كـان حزنُهم عليها حزناً لايوصف.

حياتها العلمية: كانـت المترجمـة سـيِّدةً مثاليّـةً تُحْتَـذَى وتُقْتَـدَى في كـلٍّ مـن الصلاح والتدين، والزهد والإنابة، والتمسّك بشعائر الدين، ومكارم الأخـلاق، والحلم والكرم، والقري والتضييف، والتخرّق في الجود والكرم، ورعاية الأَرَامل والأيتام، والحَدَب على الفقراء والمساكين، والإصلاح والتربيـة؛ فكـم مـن أرملـة ويتيم كانوا ينالون مساعدة مالية مُرَتَّبَة مـن قِبَلِهـا، وكـم مـن محتـاج مـن النـساء والرجـال كـانوا يحيطونهـا علـماً بحـالتهم البائـسة، فكانـت تعالجهـا عـن رضـا واحتساب ودونما تأجيل، وكانت تتفقد بدورها دائماً أحوالَ الأرامل في «ديوبنـد» وكانت لديها قائمة بهنّ كانت تزيد فيها وتنقص حسب ما يستجدّ لديها مـن علـم بأحوالهنّ؛ فيصحّ أن يقال: إنه لم تمت هي وحدَها ولكن مات بموتهـا خلـقٌ كثـيرٌ

كان يعتمد عليها في المعاش والدواء والعلاج والسكن والاكتساء ومعالجة الضرورات الملحة الكثيرة التي لا تُحْصَىٰ.

ومما يذكر لها رحمها الله أنها وقفت بجانب زوجها العظيم، وساعدته في جميع مهامه العلمية والحركية والدعوية.

وإذا كان الشيخ بعيدًا عن ديوبند، أو في معتقل، كتب إليها الرسائل يوجهها ويرشدها في شؤون الأسرة حتى زواج أولاده في مواعيده، فكانت تقوم هي وحدها بجميع هذه الأمور خير قيام.

رافقت زوجها، فأخذت منه خلال الخير، وصفات الكرم، وخصال العظمة، فعاشت عليها حياتها كلها.

وقد تجلت عظمتها في مواقف عديدة، منها أنه كان من دأب الشيخ أن يأخذ راتبًا من دارالعلوم للأيام التي يدرس فيها، وأما الأيام التي كان فيها على سفر، أو في اعتقال، أو مريضًا لا يأخذ راتبها.

فلما مرض الشيخ مرضَ وفاته لم يأخذ راتب الأيام التي لم يدرس فيها، فأتى الشيخ المقرئ محمد طيب- رحمه الله- رئيس الجامعة سابقًا براتب تلك الأيام، فرفض الشيخ أن يأخذه قائلا: «إني لم أدرس في تلك الأيام فكيف آخذ راتبها؟».

فلما توفي الشيخ ذهب الشيخ المقرئ محمد طيب - رحمه الله - بهذا الراتب إلى السيدة، وكانت على معرفة أن الشيخ كان قد رفض أن يأخذه، ورجاها أن تأخذه، فردته قائلة: «إن لم يأخذه الشيخ فلن آخذه».

عاشت بعد ما توفي الشيخ نحو٥٥عامًا، سلكت بأسرتها على الحياة الإسلامية التي كان يتبعها الشيخ في الزواج والاجتماع والسكن واللباس وتربية الأولا

وتعليمهم. كما حافظت على تقاليد الأسرة في الضيافة وإسداء المعروف إلى الفقراء والمساكين، وكفالة الأيتام والأرامل، وتربية بنات المسلمين وتخريجهن على الأخلاق الفاضلة والآداب النبيلة.

كانت السيدة تحتل مكانة محترمة في الأسرة المدنية ذات الأعضاء الكثيرة لمكانها من الشيخ، فكان لايقطع أمرذوبال دونها، وكانت لها كلمة مسموعة بين أفراد الأسرة، فكان أفراد الأسرة كلهم يجلونها، ولايعصون لها أمرًا، حتى إدارة دارالعلوم ديوبند كانت تسمع كلمتها وتقبل شفاعتها في قبول الطلاب.

كانت نساء الحي وبناته قد استأسرهن حسن سيرتها ومرضي أخلاقها، فكن يختلفن إليها يتعلمن منها الأدب، ويأخذن الخلق، ويستهدين السلوك السوي، ويسألن المعروف، فكانت لهن المفزع في مختلف شؤونهن وأمورهن.

والنساء المسلمات في ديوبندَ وغير ديوبندَ كثيرات لايُحْصَيْنَ، منهن من قد يكنّ مواظبات على الدين، محافظات على الصلاة والعبادات وشعائر الدين؛ ولكن لاتوجد بينهن من تجمع خصال الشيخة «وكيل النساء» التي كانت قد جعلتها سيِّدة مثالية فاقدة المثال؛ لأن هذه الخصال كانت قد انغرست فيها ونمت وترعرعت وآتت أُكُلَها بنحو مطلوب بصحبة زوجها العظيم – بعد توفيق الله عزّوجلّ – ومثلُ هذه الصحبة لا تتأتى ولم تتأت لكل امرأة، وإنما تيسّرت للفقيدة الغالية باختيار الله وحكمته.

عقبها وذريتها: قد خلفت – رحمها الله – ابنين، وهما :

١_شيخنا ومجيزنا العالم الهندي المعروف الشيخ السيد أرشد بن حسين أحمد المدني، أحد كبار مشيخة الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية الأمّ في شبه القارة

الهندية: دارالعلوم/ ديوبند وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ورئيس جمعية علماء الهند.

٢_والشيخ أسجد بن حسين أحمد المدني،

وخمس بنات، وأسرةً سعيدة حافلة بالأحفاد والأسباط والحفيدات والسبطات تضمّ نحو ٢٥عالماً بالدين و ٤٧ حافظاً للقرآن الكريم.

وفاتها: توفيت رحمها الله فى الليلة المتخللة بين الأربعاء والخميس: ١٣-١٤ شعبان سنة (١٤٣٣هـ)، الموافق ٤-٥/ يوليو (٢٠١٢م) بمدينة «ديوبند» عن عمر ناهز (١٠٢) من عمرها، وقد كانت الشيخة تعاني من تداعيات الهرم المنهك والشيخوخة المتناهية فى السنوات الأخيرة، خاصة أنها عمرت طويلاً.

وقد أقيمت الصلاة عليها في محيط «مولسري» المعروف بالجامعة، التي حضرها نحو عشرة آلاف أو أكثر من العلماء والصلحاء وطلاب علوم الدين بالجامعة وبالمدارس الإسلامية الأخرى في المدن والقرى المجاورة وأهالي مدينة «ديوبند» ومحبي الشيخ المدني والأسرة المدنية من شتى شرائح المجتمع الإسلامي بالهند، الذين تمكنوا من الوصول إلى «ديوبند» في الفترة الزمنية المحدودة، يتقدمهم رئيس الجامعة فضيلة الشيخ المفتي أبوالقاسم النعماني البنارسي رئيس الجامعة، ونائباه الشيخ عبد الخالق المدراسي والشيخ عبد الخالق السنبهلي، وجميع أساتذة الجامعة. وكلهم قد شاركوا في تشييع جثمانها إلى مثواها الأخير وتوريته في المقبرة الجامعية المعروفة بـ«المقبرة القاسمية» التي تضمّ قبورَ كبار علماء ومشايخ الجامعة وخيرةِ أهالي مدينة ديوبند، وعلى رأسهم الإمام محمد قاسم النانوتوي (١٢٤٨-١٢٩٧هـ = ١٨٣٢-١٨٨٠م) مؤسس الجامعة، وتلميذه النابغة العالم

والمناضل والقائد والمحدث الكبير الشيخ محمود حسن الديوبندي (١٢٦٨-١٣٣٩هـ - ١٨٥١-١٩٢٠م) المعروف عالميًّا بـ«شيخ الهند» وتلميذه الشيخ السيد حسين أحمد المدني وغيرهم. وأَمَّ الصلاةَ عليها نجلها البارّ العالم المعروف الشيخ السيد أرشد المدني. وتمّ الفراغ من دفنها في نحو الساعة الواحدة من الظهر، لكثرة الزحام والمشاركين في الدفن.

رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها الفردوس الأعلى من الجنة.

❁ ❁ ❁

المراجع/ _ مجلة الداعي عدد ذو القعدة ١٤٣٣ هـ = سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢م، العدد : ١١ ، السنة : ٣٦، مقال لرئيس التحرير بعنوان(وفاةُ حرم الشيخ الصالح المحدث المربي العالم الهندي الكبير الشهير الشريف حسين أحمد المدني المعروف بـ"شيخ الإسلام" رحمه الله).بتصرف

ومقال أخر فى نفس العدد بعنوان (الشيخة الصالحة). للدكتور محمد ساجد القاسمي ، بتصرف بسيط.

رتبها / حاتم بن محمد شلبي الدمياطي